



تاريخ العرض

2025/03/08

عرض بعنوان "السينما والتاريخ"

تقديم

د/ نور الدين سعيد

قبل اختراع السينما، كان التاريخ يعتمد كلية على شهوده من الوثائق المكتوبة بالحبر، أو المرسومة على الجدران الكهوف، أو المرسومة بعدها أو بعد أن تطورت اللوحة التشكيلية، وكذا الحكايات المروية بالتوارد جيل عن جيل، وحين جاءت السينما، أصبح التاريخ مصوراً.

= ماهي السينما

تعرف السينما على أنها نوع من أنواع الفنون الستة المعروفة قبلها، تركز أساساً على فن الفيلم من جهة، وعلى صناعة السينما بواسطة آلة التصوير المتحرك من جهة أخرى، يتم بعد ذلك عرض ما تم تصويره على الجمهور، من خلال شاشات كبيرة في صالات سينما، أو مسارح مخصصة، تشترط قفل الإضاءة والإبقاء على خطوط الأشعة التي يبتها جهاز العرض على قطعة قماش بيضاء كبيرة في مقدمة صالة العرض، أو نقل هذا الوسيط الذي اسمه الفيلم وتسجيله على وسائط أخرى يسهل رؤيتها من خلال إما شاشات التلفاز التي بدأت هي الأخرى تحاكي الفن السينمائي، في البيوت أو في قاعات الدرس كذلك، أو كما في أيامنا يمكن رؤية الأفلام على أجهزة الكمبيوتر عبر شبكات الإنترنت، أو عبر الهواتف الذكية المحمولة ويمكن الحصول على الأفلام وإعادة رؤيتها من خلال تسجيلها وبتها عبر كل هذه الوسائط السابقة كونها أكثر الفنون شعبية بعد ان اقتصرت في بدايات عرضها، على فئة معينة من الناس.

2- التاريخ واستعمالاته:

• التَّاريخ هو دراسة الماضي كما هو موصوف في الوثائق المكتوبة. أما الأحداث التي تحدث قبل السجلات المكتوبة تعتبر ما قبل التاريخ. و«التاريخ» مصطلح شامل يتعلق بالأحداث الماضية بالإضافة إلى الذاكرة، واكتشاف، وجمع، وتنظيم، وعرض، وتفسير المعلومات حول هذه الأحداث. يطلق على العلماء الذين يكتبون عن التاريخ اسم المؤرخين.

• ((ثمة استعمال آخر للتاريخ: إنه التقويض الدائم لتطابقتنا، ذلك لأن هذا التطابق الوهن بالرغم من كل شيء، والذي نحاول أن نوّمن عليه، ونحفظه خلف قناع، ليس إلا افتعالاً: فالتعدد يقطنه، ونفوس عدة تتنازع داخله والانظمة تتعارض ويقهر بعضها بعضاً)).
"ميتشيل فوكو".

جدال التاريخ والسينما

• الجدل الذي حصل بين السينما والتاريخ، حرك الكثير من النوازع الفلسفية، لدى العديد من صناع الفيلم من المخرجين المفكرين والمنظرين على وجه الدقة، وكذلك جلب الكثير من الأفكار لدى المشتغلين في حقل التاريخ، وحقل الفلسفة في ذات الوقت، وانظم كذلك الكثير من المنظرين في الفن التشكيلي على وجه الخصوص إلى كل هذه الآراء، على اعتبار أن السينما الحقّة، هي التي تتفاعل لقطاتها مع حلولها التشكيلية، بل يجب عليها أن تفعل، خصوصاً وأنها باتت فناً له خاصيته التشكيلية من خلال اللغة السينمائية التي تتحدث بها اللقطة، فيما يخص عناصرها الجمالية (اللغة المرئية الحاوية على الجمال) وكذا أن التشكيل طالما كان شاهداً هو الآخر على التاريخ، خصوصاً في أفلام المعلمين الكبار، ايزنشتاين، فيليني وبيير باولو بازوليني وغيرهم.

أولى العروض السينمائية في التاريخ

• من المثير كذلك، أن السينما التي تقرأ التاريخ، وتؤرخ له، صار لها تاريخ يخصها، يخص ميلادها من جهة، ويخص ابتكارها للعديد من الخصائص الفنية، وكذا ولادتها للأفلام المهمة تباعاً، خصوصاً تلك التي تهتم بالتاريخ ودراساته الاستراتيجية، يمكن القول أن السينما ولدت في العقد الأخير من القرن التاسع عشر بالتحديد في 28 ديسمبر من العام 1895، في أول عروضها للأخوين لوميير، في شارع الكابوسين بباريس، هذا العرض الأول اعتمد مباشرة على تصوير الواقع كما هو، بل لعلنا نجزم بأن أفلام من نوع دخول القطار إلى المحطة، وإطعام طفل، وخروج العمال من مصانع لوميير، وغيرها مما وثقه الأخوين لوميير وعرضاه في هذا المقهى في هذا اليوم تحديداً، تسجيلاً أميناً لرواية تاريخية مجسدة في صورة تتحرك.

4- فيلم دخول القطار إلى المحطة للأخوين لوميير 1895، تجسيد الواقع ورصد التاريخ الذي يتحرك، كما هو..

أفلام لويس وأوغوست لوميير، مجموعة
من الأفلام القصيرة جداً، حققت ثورة مذهلة في
عالم الاتصال من خلال الحركة واللغة المرئية
على الرغم من بدائيتها وبساطتها، لكنها أفلام
حركت الكثير من الأسئلة بصدد الفيلم وبصدد
التاريخ بأسره، تصوير الحركة شغل ذهن
العلماء في كل بقاع العالم، وبدأوا يدخلونه في
معاملهم كونه اختراع سيغير وجه العالم،
خصوصاً الجانب المتعلق فيه بالاتصال ورصد
الأحداث.



مؤرخون سينمائيون

لوسيان فيبر، مارك بلوخ، وفرديناند بروديل (مدرسة الحوليات في التاريخ)

جورج سادول، ومارك فيرو (مدرسة الحوليات في تاريخ السينما)

ساعدت مدرسة الحوليات "الفرنسية" التي ينتمي إليها هؤلاء المؤرخون على توسيع مفهوم الوثيقة التاريخية والانفتاح على شواهد أخرى "اجتماعية واقتصادية" بدلاً من شواهد التاريخ السياسية التي كانت قبلها، وأسهمت بطريقة تلقائية في تجديد مفهوم الوثيقة التاريخية وقادت المؤرخ إلى تجديد صناعته والانفتاح على قضايا ومواضيع وإشكالات لم يتم التفكير فيها من قبل. إنه تحول معرفي كبير يعتبر بمثابة اكتشاف مذهل في تاريخ العلوم الإنسانية.

يعد مارك فيرو - المولود في 1924 - واحداً من أبرز المؤرخين الفرنسيين في القرن العشرين، وأحد أهم الأكاديميين المتخصصين في تاريخ السينما. كتب مارك فيرو شهادة ميلاد لمجال جديد في أواخر الستينيات وهو دراسة علاقة السينما بالتاريخ، وصدر كتابه الأشهر "السينما والتاريخ" في طبعته الأولى في 1977، ثم أعيدت طباعته في نسخة جديدة في 1993 وترجم لعدة لغات، وصدرت ترجمته العربية في 2019 عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة.

ومدرسة الحوليات في الكتابة التاريخية، تستقرئ التاريخ من خلال الوقائع الاجتماعية باستخدامها لمنظور يجمع بين إسهامات علم الاجتماع من جهة، وعلم الأعراق وعلوم الإنسان بشكل عام جهة أخرى؛ انتمى فيرو بشدة لهذه المدرسة، لذلك لجأ إلى تنويع مصادر بحثه التاريخي، وظهر اهتمامه المبكر بالسينما بوصفها مصدراً من مصادر التاريخ. عبّر هذا العالم، عن أفكار شكلت صدمة لمجتمع المؤرخين الأكاديمي عند نشرها للمرة الأولى في شكل مقالات، فقد رأى أن السينما تقدم وثيقة من الممكن الاعتماد عليها بوصفها مصدراً مهماً

إلى جانب المصادر التقليدية للبحث التاريخي. 2

5- تصوير التاريخ: آبيل غانس.

٢. فيلم نابليون، آبيل غانس، ابتكار طريقة في
المونتاج الإيقاعي تدار لأول مرة في تاريخ السينما.

لم يعد الخطاب التاريخي يعتمد كلياً على ما يروى
شفاهية، أو ما ترويه الوثيقة المكتوبة أو حتى تلك
المسموعة عبر أشرطة الكاسيت، أو تلك الصور الثابتة
منذ القرنين الماضيين، أو تلك المرسومة زيتياً، في
العصور الوسطى، أو حتى التي قبلها، والتي كان قد
صورها الإنسان المتوحش في الكهوف والمغاور لكننا
أصبحنا نعيش عصر الصورة المتحركة، بكل ما تعنيه
الكلمة من معنى، وأضحى الخطاب البصري مهيمناً
ومسيطرًا على العقل وعلى التاريخ بأسره، لكن الخطورة
كامنة ليس فقط في الخطاب البصري السينمائي التاريخي،
لكن في تطاول الثقافات الوافدة من الدول الصناعية
الكبرى، على دويلات تسعى في أن يكون لها كيان ووجود
ثقافي، والذي تعتبر أوطاننا من أقصاها إلى أقصاها،



الكتابة بالصورة

والملاحظ بأن المؤرخين لم ينتبهوا إلى أهمية السينما بالنسبة للوثيقة التاريخية إلا في فترة متأخرة جدا ، وحتى عندما أدركوا أهمية الفيلم بالنسبة للدراسة التاريخية فإن هذا الإدراك أصبح محدوداً وناقصاً إلى أبعد الحدود فهو يصر على استعمال الفيلم التاريخي اما كأداة بيداغوجية ، واما كوثيقة تاريخية يشترط فيها ما يشترط في الوثيقة التاريخية المكتوبة من أمانة ومصداقية ، ولعل ما كان مانعاً لهذا الانتباه هو تأخر ظهور السينما ، والمسائل المتعلقة بهوية الفيلم نظرة المجتمع والمؤرخ إلى هذا الفن ، والنقطة الأكثر أهمية هي (ما يسمى النزعة الوضعية لدى المؤرخين ، منذ النصف الأول من القرن العشرين ، كما عرضت هذه النزعة نفسها على غيرهم من العاملين في حقل العلوم الإنسانية خوفهم من أن هذه الأشرطة موضوعة وفق معايير فنية خاضعة لإرادة مخرجيها وأهوائهم ، وهي ليست أكثر مصداقية من الوثيقة المكتوبة ، وهم بهذا قد تناسوا بأن هذه الوثيقة المكتوبة هي أقرب إلى التزييف والعبث من الفيلم السينمائي خصوصا منه ذلك النوع التسجيلي الذي يصور التاريخ بأمانة؛ ويرى نور الدين الصايل، واحد من المؤرخين والمهتمين بالكتابة للسينما في المغرب العربي بأن "النظر في هذا الصدد يحتاج إلى طرح سؤال عن ماهية القصصية التي يحملها التاريخ من جهة، والسينما من جهة أخرى؟ إذا أردنا أن نعرف هذه القصصية نجد منذ البداية، زعزعة في المعنى فالتاريخ من الناحية الأبستمولوجية، يرغب في الوصول إلى المعرفة العلمية فهو علم، أما الفيلم أو السينما بصفة عامة فهو نص لا يقدم نفسه كعلم بل كطريق أو وسيلة للوصول إلى اللذة لأنه فن" .

الواقعية الإيطالية الجديدة، التاريخ يتحرك.. فيلم أمبيرتو دي. فيتوريو دي سيكا.

امتلكت السينما مناهج ومدارس تدخل في جانبها الفني والجمالي، لتترجم في أسلوبها الواقعي مثلما حصل في الواقعية الجديدة - Neorealism لتقول لنا بأن الصورة ماهي إلا زمن لا يهم إن كان ماضياً أو مستقبلاً أو حاضراً، فالصورة وإن كانت أنية تصور الآن، سوف تصبح عندما نفرغ من تصويرها حالاً إلى زمن مضى تصبح تاريخاً لتترجم تاريخاً، أو زمناً محكياً، والحقيقة تقال، بأن المدرسة الواقعية الإيطالية هذه، وإن كانت تترجم حقبة زمنية من القرن العشرين تمثلت في ما عانته إيطاليا من ويلات الحرب العالمية الثانية، وذلك الألم الذي كان محسوساً من خلال شاشة أفلامها لقد كانت أغلبها أفلاماً روائية اقتربت في أسلوبها من النمط التاريخي التسجيلي، إنها واقع معاد لا نستطيع أن ندخله كوثيقة تاريخية رغم مصداقيته الفنية، لكننا لا نستطيع أيضاً أن نتهرب من كونها أفلاماً قد دخلت التاريخ بالفعل فالقارئ مثلاً قد يحس بالألم عند قراءته مشهداً من رواية مكتوبة، لكن هذا الألم يتصاعد إذا ما شوهد في فيلم من أفلام وديسيكا، الذي اعتمد لكي يبرز لحظات تاريخية حية على اللقطة المشهد أو ما يسمى اصطلاحاً (Plan Sequence)



أمبيرتو دي

اللقطه المشهد، التي حلت محل المونتاج أو التقطيع، فالكاميرا تصور بلا توقف في لقطة طويلة زمنياً في فيلم () (Umperto-D أمبير تودي) لخدمة شابة تدخل المطبخ صباحاً، وتقوم بسلسلة من الحركات الآلية المرهقة تنظف المطبخ بعض الشيء وتطرد النمل عن مسيل الماء، تتناول مطحنة القهوة، وتغلق الباب بطرف أصابع قدمها، في هذه اللحظات تلتقي أنظارنا ببطنها المنتفخ، بطن امرأة حامل هذه اللقطه بالذات والتي تتوقف عندها الكاميرا () (Close shot) تترجم بؤس العالم بأسره وقد انكشف بكل الامه أمام أعيننا، هذه المصادفات رغم عبثيتها وتجزئتها وعدمية معناها نجد بأنه قد يبرز أمامنا موقفاً بصرياً، التقت فيه أعيننا بأعين الخادمة يلاحظان بطنها المنتفخ.



تطعيم التاريخ بالشعر ببير باولو بازوليني (اللغة السينمائية)

ويعد المخرج ببير باولو بازوليني، أيضاً من جيل الواقعية الجديدة، التي تشربها فيما بعد، فنان الأسطورة والحدائث، متميزاً في انتقائه لمواضيعه، فهو شاعراً وروائي وكاتب مسرحي، وناقد وصاحب نظرية، بالإضافة إلى كونه مخرجاً سينمائياً استطاع أن يفلسف اللغة المرئية ويدخل عليها مصطلحات لغوية، كالمجاز والاستعارة والتشبيه المختار بعناية فائقة، لقد اهتم بالقضايا المعاصرة بتصويره الحياة البروليتاريا في أحياء روما الفقيرة، وقد ركز إلى جانب اهتمامه بهذه القضايا على الأسطورة وتاريخ الحياة البدائية والموضوعات المتعلقة بالدين والفلسفة والخرافة، كان قد عبر عن هذا الاهتمام من خلال فيلمه (طيور قبيحة، وطيور جميلة) سنة 1966م، والذي تناول فيه بالتحليل والتهكم من خلال دراسات تاريخية، سياسات الجناح اليساري الإيطالي مثل ما عبر عنه أيضاً في فيلمه (نظرية) 1968م، والذي يصور تفسخ أسرة من أسر الطبقة الوسطى، كما تناول أيضاً هذا الموضوع في بعض من أجزاء فيلمه الآخر حظيرة الخنازير) والذي قدم فيه بعض الخواطر من ألمانيا في فترة ما بعد النازية (3)



دخول آلة التصوير السينمائي إلى ليبيا، تصوير التاريخ كما هو: معتقل العقيلة.

بالعودة إلى طفولة السينما، مع مطلع القرن العشرين ، تلك السينما التي كانت تصور التاريخ بلا هوداة، بكل ما فيه من حرب ودمار وبؤس وشقاء، فعندما غزت إيطاليا ليبيا في العام 1911، أوفد جنرالات الحرب الإيطاليون بعثة من الشباب الإيطالي المجندين لهذه الحرب، كان جزء منهم فنانيين سينمائيين قد تدربوا على فنون السينما بمعهد (لويس لوميير) بمدينة (ليون) الفرنسية، تم إيفادهم إلى ليبيا، ليس بغية القتال فقط ولكن بغرض تصوير التاريخ في الواقع ... تصوير معارك طاحنة بين قوى غير متكافئة، كتائب من الجيوش المتدربة في أرقى الأكاديميات العسكرية، مقابل مجموعة من القبائل البدوية امتشقت السلاح بضرورة الدفاع عن دينها وأراضيها.



لم تكتف الوثيقة التاريخية لتقول لنا ذلك، لكن السينما خير دليل على مصداقية الوثيقة، لقد اكتفت الصورة بأن ترينا تاريخاً يتحرك في فيلم تسجيلي واقعي، استطاع أن يقرأ العذاب ويترجم البؤس والشقاء ويبعث على الاشمئزاز، إن أي فيلم وثائقي ما هو إلا فيلم تاريخي، يبقى مادة في غاية الخطورة إن أي فيلم وثائقي ما هو إلا فيلم تاريخي.

المؤرخ الألماني السينمائي، (كراكور) في كتابة من كاليجاري إلى هتلر، والذي أنجز فيه، بنوع من الدقة والحرفية العلمية، الكيفية التي جعلنا نتحكم في الصورة بقمعها وتغيير معناها، وذلك عن طريق التعليق فقط وهي طريقة أصبحت الآن بدائية، وكانت معروفة جداً ليس بألمانيا الهتلرية فقط، بل في كل تنظيم أو دولة استعمارية تريد أن تعطي لنفسها مشروعية الرأي والسلطة عن طريق الصورة، والصوت ، وبات من الضروري التنويه إلى أن الحرب الاعلامية والأشرطة الوثائقية التي يتم تصويرها اليوم والتي ابتدأت في غزو أمريكا للعراق مثلاً، أكبر شاهد وخير دليل حي يمكن الرجوع إليه، ما الذي فعلته الأفلام الروائية هي الأخرى في التاريخ، بعد أن تطور الخطاب البصري، مع ظهور التكنولوجيا الرقمية ؟، وهو سؤال في غاية الأهمية إذا ما تتبعنا مفرداته، لعل الفيلم التالي خير دليل عنه:

اللقطة المغزى، سيرجي
ايزينشتاين. رولان بارت

التفكير في اللقطة كونها مغزى
يتقسم إلى ثلاثة أقسام واضح
ورمزي، ومنفرج.



دجتالية اللقطة والتاريخ

صورة من الفيلم الأمريكي فورست جامب، للمخرج روبيرت زيميكس، 1994 تناول تاريخي بديع، لكنه مخيف في قراءة التاريخ، فيما يخص قدرة التكنولوجيا على خلط الأحياء بالأموات.

فيلم حصد الكثير من جوائز الأوسكار، وتم تنفيذه على ضوء رواية تاريخية تحمل نفس الاسم فورست غامب، لكن المخرج عالج أغلب أحداث الرواية بطريقته وبأسلوبه، ولعله الفيلم الأكثر نجاحاً وتفوقاً على الأدب، دون غيره من الأفلام التي أخذت من قصص تاريخية ولم تتفوق عليها، وبقيت الرواية دائماً هي الأجمل، لكن فيلم فورست جعل من جانب المحاكاة المرئية بشكل جمالي فاق كل التصورات، لمخرج ينتقد الكثير من الأزمات السياسية التي مرت بها أمريكا خلال حرب فيتنام، ليقف فيه إلى الجانب الإنساني من خلال شخصية فورست الذي قاربه لأن يكون درويشاً متصوفاً طيباً ومسالماً لكنه بطلاً بكل المقاييس التي تستدعي الشجاعة والاقدام من أجل إبراز الصورة الإنسانية التي يحملها، الفيلم تم الاشتغال على الكثير من لقطاته بدقة لا متناهي واستخدمت فيه التكنولوجيا الرقمية لنرى شخصية البطل التي تم تصيرها عام 1994، تصافح الرئيس كندي الميت عام 1963.



فيلم عمر المختار، قراءة استثنائية للتاريخ، للمخرج مصطفى العقاد

فيلم عمر المختار أيقونة التاريخ الليبي بكل ما تعني الكلمة من معنى، استطاع مخرجه نقل التاريخ من الوثيقة إلى الواقع ليقص من فترة تاريخية ثقيلة ومؤلمة، كيف تسرق دولة عظمى دولة أخرى جارة لها، في مشروع استيطاني هدفه إبادة شعب بأسره، التاريخ هنا تحول من حبر على ورق، إلى صورة حية تتحرك، الأزمة أن المنهج التاريخي في الجامعات الليبية لا زال يعاني في قراءاته من الطرق القديمة على استجلاء الوقائع متناسياً أهمية الفيلم والصورة في إثبات الحقيقة، نحن حين نقرأ تاريخ مكتوب إنما نقرأ قصة، والتاريخ قصة، تحفز خيالنا على التصور للأحداث، في هذه الحالة حين نحيل الأحداث إلى صور فيلمية إنما نحن نعيد كتابة التاريخ بشكل أكثر اكتمالاً وقرباً من الواقع.

ونحن بهذا نتخلص من الانشاء ونتخلص كذلك من قراءة تاريخ يحكي سياسة فقط، لكننا حين نقرأه بالصورة فإننا سنضع في حساباتنا دراسات إنسانية مكثفة مخلوطة بالفن والثقافة بشكل مركب لدراسة جمالية محفزة على فهم الأنثروبولوجية أكثر من الدراسات التاريخية الانشائية.



نتائج:

- 1- العلاقة بين السينما والتاريخ، علاقة منهج علمي، استطاعت السينما عبره أن تقترب من التاريخ بأن تجعل منه علماً تجريبياً خاضعاً لوحدات قياس وفروض علمية أكثر مما تنتجه الوثيقة التي قد تخضع لأهواء كتابها سواء في مرحلة الحادثة التاريخية أو بعدها.
- 2- دراسة التاريخ من خلال السينما محلياً كان أن عالمياً، سيبعد من التوثيق الانشائي الذي لا طائل من ورائه، بالقدر الذي ستكتبه السينما، وتؤثر فيه خصوصاً أنها تمتلك لغة مرئية ندركها بالبصر من خلال شواهد الحية التي تتحرك أمامنا.
- 3- قراءة التاريخ من خلال مدرسة الحوليات السينمائية تقربه من الحقيقة أكثر لأنها ستبتعد به من المنهج السياسي والحكاية التاريخية للأزمات السياسية، وتتجه به نحو التفكير الاقتصادي والاجتماعي، باعتبارهما عاملين مهمين لاستخلاص نتائج حقيقية للمراحل التاريخية.
- 4- تأثير الفنون والثقافة يخلقان من خلال السينما دراسات علمية تؤثر بالضرورة في العوامل الأنثروبولوجية للدراسة الإنسان، أكثر من مجرد الكتابة العابرة للوثيقة التاريخية، لأنها ستكون أقل مصداقية بلا دراسة تاريخية لتاريخ الفنون من خلال الصورة السينمائية.
- 5- الاهتمام إلى نص تاريخي حداثي لن يكون في أيامنا محض اجترار للماضي بطريقة قدامية وكأنها حقائق ثابتة لا تقبل المناقشة ولا حتى السؤال، وللوصول إلى دراسات حديثة وما بعد حديثة للتاريخ، يجب اختيار مناهج تحديثية يكون للسينما التسجيلية والروائية الدول الرئيس فيها، من خلال استخلاص نتائج ملموسة بنسب خطأ أقل مما هو سائد في مناهج التاريخ التقليدية.
- 6- لرأب تصدع البحث العلمي الخاص بالمنهج التاريخي في أقسام التاريخ على وجه الخصوص، بجامعاتنا، يجب عمل توأمة علمية وزيارات ميدانية وتبادل خبرات بين أقسام الفنون المرئية المختصة بالدراسات السينمائية، وأقسام التاريخ، للتوصل لإنتاج مشترك في البحث